رواية صب الرصاص حول قبر الرسول - ﷺ - في عهد السلطان نور الدين محمود بن زنكي دراسة وتحقيق

د/ إبراهيم بن محمد بن حمد المزيني
قسم التاريخ والحضارة/ كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

هناك كثيراً من الروايات والأخبار التأريخية التي رويت في المصادر، ودونت على أنها أمور مسلّمة لاتحتاج إلى طرح أو نقاش، ثم تتابع نقلها حتى وصلت إلينا بهذه الصفة رغم مايشوبها من ضعف واضطراب. ضعف في نقلها وانقطاع في سندها؛ واضطراب وتناقض في رواياتها مما هو كفيل بضعف هذه الروايات ووهنها، ومع ذلك فقد أولع في نقلها وروايتها كثير من الرواة والمؤرخين المولعين بتتبع كلّ غريب وأخذه على أنه أمر مسلّم لامجال لمناقشته أو التشكيك فيه، وربما فاتهم أنّ الأخبار التأرخية لابدّ أن تعتمد على الحقائق الواقعة والأدلة والبراهين

الصادقة، وأن تخضع مع هذا للفحص والنقد العلمي الدقيق الذي يوصل إلى الحقيقة التاريخية المنشودة.

من هذه المسلمات التي نقلتها كثير من المصادر التاريخية، رواية صب الرصاص حول قبر الرسول ﷺ حماية له من محاولات الاعتداء عليه، وقد نسب هذا العمل إلى السلطان نور الدين محمود بن زنكي (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م)[1] وهي رواية تحتاج إلى توقف واستقراء في رواياتها وأحداثها ضمن كتابات المؤرخين عنها حتى يمكن الحكم عليها وفق منظور دقيق، يتسم بالموضوعية والأمانة التاريخية المطلوبة وهذا مايمكن طرحه ومناقشته في هذا البحث.

وهذا الموضوع على قدر كبير من الأهمية والحساسية، لكونه يناقش رواية ذات علاقة ومساس بنبي هذه الأمة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبتاريخنا الإسلامي المجيد وقادته العظام. فقد أبرزت عددٌ من المؤلفات والمصادر التاريخية، وخاصة مايعالج منها تاريخ المدينة النبوية، رواية مفادها قيام السلطان نور الدين محمود بن زنكي بصب الرصاص حول قبر النبي ﷺ حماية له إثر محاولة تورّط بها النصارى لسرقة جسده الشريف ونقله خارج المدينة.

وقد أُرّخت هذه الرواية بسنة سبع وخمسين وخمس مائة للهجرة (١١٦٢م)، ولكنها ظهرت لأول مرة في المصادر التاريخيّة بعد قرنين - تقريباً - من سنة حدوثها، حسبما تشير إليه المصادر، وسنعمد هنا - بمشيئة الله تعالى - إلى إيراد عدد من النصوص التي وردت فيها هذه الرواية، لما لها من أهميّة في مناقشة الرواية والتّحقق من حدوثها، وصحة نسبتها إلى نور الدين محمود بن زنكي من عدمها.

صور الرواية:

كان أول من ساق الرواية ونقل عنه عدد من المؤرخين هو جمال الدين محمد بن أحمد المطري المتوفى سنة ٧٤١هـ (١٣٤٠م) في كتابه الموسوم بـ(التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة) فقال وهو يتحدث عن سور المدينة المحيط بها

في زمنه : «ووصل السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر في سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها ذكرها بعض الناس وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك أنّ السلطان محمود المذكور رأى النبي (ﷺ)[٢] ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له في كل واحدة منها : يامحمود، أنقذني من هذين الشخصين، أشقرين تجاهه . فاستحضر وزيره قبل الصبح، فذكر له ذلك، فقال : هذا أمر حدث في مدينة النبي (ﷺ) ليس له غيرك، فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة ومايتبعها من خيل وغير ذلك حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها والوزير معه، وزار وجلس في المسجد لايدري مايصنع، فقال له الوزير : اتعرف الشخصين إذا رأيتهما؟ قال : نعم، فطلب الناس عامة للصدقة، وفرّق عليهم ذهباً كثيراً وفضة، وقال : لا يبقين أحد بالمدينة إلا جاء . فلم يبق إلا رجلين مجاورين من أهل الأندلس نازلين[٣] في الناحية التي تلي قبلة حجرة النبي (ﷺ) من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه - التي تعرف اليوم بدار العشرة . فطلبهما للصدقة فامتنعا وقالا : نحن على كفاية مانقبل شيئاً . فجد في طلبهما، فجيء بهما، فلما رآهما قال للوزير : هما هذان، فسألهما عن حالهما وماجاء بهما، فقالا : لمجاورة النبي (ﷺ) فقال : اصدقاني، وتكرر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتهما، فأقرا أنهما من النصارى وأنهما وصلا لكي ينقلا من في هذه الحجرة المقدسة باتفاق من ملوكهم . ووجدهما قد حفر[٤] نقباً من تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي . وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة، ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه . هكذا حدثني عمن حدثه، فضرب أعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة رسول الله (ﷺ) خارج المسجد، ثم أُحرقا بالنار آخر النهار، وركب متوجهاً إلى الشام»[٥] ويلاحظ هنا أنّ المطري - رغم إيراده قصة الرؤيا كاملة والسنة التي حدثت بها - فإنه لم يذكر عمل الخندق وسبك الرصاص فيه، وقد نقل عنه ابن قاضي شهبة المتوفى سنة

٨٧٤هـ (١٤٧٠م) في كتابه (الكواكب الدرّية في السيرة النورية) بالنص تقريباً، ولم يشر أيضاً إلى رواية صب الرصاص.(٦)

وجاء بعدهما السمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ (١٥٠٦م) فأورد القصة كاملة في كتابه (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى)(٧).

ونصها مايلي: «اعلم أني قد وقفت على رسالة قد صنفها العلامة جمال الدين الإسنوي(٨) في المنع من استعمال الولاة للنصارى، وسماها بعضهم (بالانتصارات الإسلامية) ورأيت عليها بخط تلميذه شيخ مشايخنا زين الدين المراغي ماصورته (نصيحة أولي الألباب، في منع استخدام النصارى كُتّاب) لشيخنا العلامة جمال الدين الإسنوي، ولم يسمه، فسميته بحضرته، فأقرني عليه، انتهى. فرأيته ذكر فيها مالفظه: وقد دعتهم أنفسهم - يعني النصارى - في سلطنة الملك العادل نور الدين الشهيد إلى أمر عظيم ظنو(٩) أنه يتم لهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وذلك أن السلطان المذكور كان له تهجد يأتي به في الليل وأوراد يأتي بها، فنام عقب تهجده، فرأى النبي (ﷺ) في نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول: أنجدني أنقذني من هذين، فاستيقظ فزعا، ثم توضأ وصلى ونام فرأى المنام بعينه، فاستيقظ وصلى ونام فرآه أيضاً مرة ثالثة، فاستيقظ وقال: لم يبق نوم، وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي(١٠)، فأرسل خلفه ليلاً، وحكى له جميع مااتفق له، فقال له: ومايقعدك؟ اخرج الآن إلى المدينة النبوية، واكتم مارأيت، فتجهز في بقية ليلته وخرج على رواحل خفيفة في عشرين نفراً، وصحبته الوزير المذكور، ومال كثير، فقدم المدينة في ستة عشر يوماً، فاغتسل خارجها ودخل فصلى بالروضة، وزار، ثم جلس لايدري ماذا يصنع، فقال الوزير، وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد: إن السلطان قصد زيارة النبي (ﷺ)، وأحضر معه أموالاً للصدقة، فاكتبوا من عندكم، فكتبوا أهل المدينة كلهم، وأمر السلطان بحضورهم، وكل من حضر ليأخذ يتأمله السلطان ليجد فيه الصفة التي أراها النبي

(ﷺ) له، فلايجد تلك الصفة، فيعطيه ويأمره بالانصراف، إلى أن انقضت الناس، فقال السلطان: هلْ بقي أحد لم يأخذ شيئاً من الصدقة؟ قالوا: لا، فقال: تفكروا وتأملوا، فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لايتناولان من أحد شيئاً، وهما صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج؛ فانشرح صدره وقال: عليّ بهما، فأتي بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي (ﷺ) إليهما بقوله: أنجدني، أنقذني من هذين، فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب، جئنا حاجين فاخترنا المجاورة في هذا العام عند رسول الله ﷺ، فقال: اصدقاني، فصمما على ذلك، فقال: أين منزلهما، فرأى فيه مالاً كثيراً وختمتين وكتباً في الرقائق، ولم ير فيه شيئًا غير ذلك، فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير وقالوا: إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات في الروضة الشريفة وزيارة النبي ﷺ وزيارة البقيع كل يوم بكرة وزيارة قبا كل سبت، ولايردان سائلا قط بحيث سدا خلّة أهل المدينة في هذا العام المجدب، فقال السلطان: سبحان الله! ولم يظهر شيئاً مما رآه، وبقي السلطان يطوف في البيت بنفسه، فرفع حصيرا في البيت، فرأى سرداباً محفوراً ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة، فارتاعت الناس لذلك، وقال السلطان عندذلك: اصدقاني حالكما وضربهما ضرباً شديداً، فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما النصارى في زي حجاج المغاربة، وأمالوهما بأموال عظيمة، وأمروهما بالتحيل في شيء عظيم خيلّته لهم أنفسهم، وتوهموا أن يمكنهم الله منه، وهو الوصول إلى الجناب الشريف ويفعلوا به مازينه لهم إبليس في النقل ومايترتب عليه، فنزلا في أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة، وفعلا ما تقدم، وصارا يحفران ليلاً، ولكل منهما محفظة جلدعلى زي المغاربة، والذي يجتمع من التراب يجعله كل منهما في محفظته، ويخرجان لإظهار زيارة البقيع، فيلقيانه بين القبور، وأقاما على ذلك مدة، فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت، وحصل رجيف عظيم بحيث خيل انقلاع تلك الجبال، فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة. واتفق إمساكهما واعترافهما، فلما

اعترفا وظهر حالهما على يديه، ورأى تأهيل الله له بذلك دون غيره بكى بكاء شديداً، وأمر بضرب رقابهما، فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة، وهو مما يلي البقيع، ثم أمر بإحضار رصاص عظيم، وحفر خندقاً عظيماً إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها، وأذيب ذلك الرصاص، وملأ به الخندق، فصار حول الحجرة الشريفة سوراً رصاصاً إلى الماء، ثم عاد إلى ملكه، وأمر بإضعاف النصارى، وأمر أن لايستعمل كافر في عمل من الأعمال، وأمر مع ذلك بقطع المكوس جميعها، انتهى»[١١].

ثمّ ينقل السمهودي عن جمال الدين المطري روايته السابقة بنصها، ويواصل بعده أنّ المجد[١٢] قد ساق هذه الرواية على الوجه الذي ذكره المطري، فقال: «ومن الحوادث في المسجد الشريف مانقله جماعة من مشايخ المدينة وعلمائها، وذكر ماتقدم، وكذلك الزين المراغي[١٣] ذكر ماتقدّم عن المطري نقلاً عنه، وزاد أنّ وزير السلطان نور الدين الذي استحضره وذكر له القصة هو الموفق خالد بن محمد بن نصر القيسراني الشاعر[١٤] قال: وكان موفقًا، انتهى».[١٥]

ثمّ جاء بعد ذلك العباسي (المتوفى في القرن العاشر الهجري) فذكر هذه الرواية في كتابه «عمدة الأخبار في مدينة المختار». وقد أورد القصة كاملة بتفصيلاتها معتمداً على المصادر السابقة.[١٦]

هذا سياق بنصه لأهم الروايات التي وردت فيها هذه القصة في مصادرها الأولية، وقد تناقلها المؤرخون المتأخرون، فقبلها بعضهم قبولاً مطلقاً واعتبروها حقيقة لامراء فيها، وهم ينقلون عن المصادر التاريخيّة السابقة دون توقف أو نظر، بينما تردد آخرون في قبولها مبدين بعض التساؤلات حول بعض أحداثها.

وكان ممن قبلها واعتبرها أمراً مسلماً به بكل تفصيلاتها: البرزنجي في كتابه: (نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين)[١٧] والبتنوني في (الرحلة الحجازية)[١٨] وأحمد ياسين الخياري في كتابه (تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً

وحديثاً)[١٩] وعلي حافظ في كتابه (فصول من تاريخ المدينة)[٢٠] وغالي محمد الأمين الشنقيطي في (الدّر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ)[٢١]، وصفوان داوودي في كتابه: (الحجرات الشريفة سيرة وتاريخاً)[٢٢] ومحمد إلياس عبدالغني في كتابه (تاريخ المسجد النبوي الشريف). [٢٣]

أما الذين ناقشوا هذه الرواية وأوردوا عليها بعض التحفظات والتساؤلات، فيأتي في مقدمتهم العياشي في كتابه (المدينة بين الماضي والحاضر)[٢٤] حيث أورد مضمون القصة معتمداً في ذلك على السمهودي، ومثيراً في ثناياها عدداً من التساؤلات التي جعلته يرفض حدوثها أصلاً، ويؤكد أنّ ذلك من صنع الخيال، وأن الداعي إلى اختلاقها هو رفع درجة السلطان نور الدين محمود بن زنكي. وكانت أبرز مبررات رفضه القصة مايلي:

أولاً: أنّ الله عزّ وجلّ قد تكفّل بحفظ نبيه الكريم حيّاً وميتاً، ولايعقل أن يستغيث رسول الله ﷺ بنور الدين بن زنكيّ، ويدع ربه المتكفل بحفظه حتى وإن أجمعت المصادر على زهد نور الدين وورعه وصلاحه.

ثانياً: إغفال المصادر التي ترجمت لنور الدين محمود بن زنكي لهذه الحادثة، ويذكر أنه لوكان للقصة أي شيء من الصحة لما أهملتها تلك المصادر التي تتسابق في ذكر مآثر نور الدين ومحاسنه ومزاياه، ودرجته من الصلاح، ويورد في ذلك تعجب السمهودي بقوله: «والعجب أني لم أقف على هذه القصة في كلام من ترجم نور الدين الشهيد مع عظمها». [٢٥]

ثالثاً: أنه لايعقل أن يفكر رجلان في إمكانية نقل الجسد الشريف من المدينة إلى بلاد النصارى من الحجاز ومصر والمغرب وهما اثنان يجوزان جميع هذه البلاد الإسلامية دون أن يعلم أحد أو يحس بما يحملان.

رابعاً: أن مساحة الحفر المذكورة في القصة وعبر النفق المشار إليه تتطلب نقل كميات كبيرة من الحجارة والتراب، ولايمكن نقلها دون أن يحس بهما أحد، أما أن الرواية الثانية تشير إلى أنهما يجعلان حاصل الحفر في بئر الدار التي سكناها فيذكر

العياشي أن آبار الدور في المدينة لايتجاوز قطرها متراً واحداً، والعمق في ناحية المسجد لايزيد عن سبعة أمتار، فلو سلم أنهما وضعا عشرة أمتار مكعبة من حاصل الحفر في البئر فأين ذهبا بما بقي؟ كما يتساءل العياشي.[٢٦]

ويبدو أن هذه التساؤلات التي أثارها العياشي ليست كافية وحدها لرد الرواية ورفضها إذ إنه اعتمد على مبررات عقلية بحتة جعلته يستبعد حصولها، ويؤكد أنّ ذلك من صنع الخيال.

وممن تردد في قبول القصة، أيضاً، وشكّك في حدوثها محمد السيد الوكيل في كتابه: (المسجد النبوي عبر التاريخ).[٢٧]، ولكنه كان بدرجة أكثر اعتدالاً من سابقة، إذ لم يبالغ في رفضها وإبداء المبررات العقلية لذلك، بل توقف في قبولها، وكلّ ماسجله بعد استخلاص القصة قوله: «وهذه القصة شكّ فيها كثير من المؤرخين لما فيها من المبالغة التي تجاوزت الخيال، ولكنا نرى السمهودي وهو عالم محقق ناقد يسردها دون أي تعليق عليها سوى قوله: والعجيب أني لم أقف على هذه القصة في كلام من ترجم نور الدين الشهيد مع عظمها . . . ونحن نلاحظ أنّ السور الرصاص المذكور موجود حول القبر الشريف يراه كل من زار القبر، ودقق النظر إلى جدرانه الخارجيّة . . . وأنا مع هذا لاأميل إلى تأييد هذه القصة على عواهنها، وأتوقف في صحة روايتها، ولعل السور الرصاص قد بنى حول الحجرة الشريفة بعدما حدث لها من سقوط بعض جدرانها مراراً، فأرادوا بذلك تمتين البناء وتقويته حتى لايتعرض للهدم، والله أعلم».[٢٨]

ثمّ جاء بعد ذلك عبدالباسط بدر الذي ألّف كتاباً شاملاً عن تاريخ المدينة[٢٩] وقد سرد الرواية، وهو وإن كان قد أيّد إمكانية حدوث القصة نظرياً، إلا إنه لم يعتبرها أمراً مسلماً به، ولم يوافق كل ماجاء فيها، وقد وقف موقف الوسط بين الآخذين بها والمؤيدين لحدوثها، وبين الرافضين لها المبررين لرفضها، إذ استهلها بقوله: «يسوق بعض المؤرخين حادثة تثير شيئاً من الجدل» ثمّ ساق القصة، وأشار بعدها إلى رواية العياشي، ومبررات رفضه الحادثة، واعتباره إياها من صنع

الخيال بعث إلى اختلاقها الرغبة في رفع درجة السلطان نورالدين محمود بن زنكي، ثمّ ناقش أسباب رفض العياشي للقصة، وضعّفها، وردّ عليها بمنطق العقل الذي أثارها، وكان مما سجله حول هذه التساؤلات ماياًتي:

١ - أنّ قضيّة الاستغاثة التي استبعد إمكانية حصولها، وتساءل عنها العياشي مستغرباً بقوله: أيستغيث رسول الله ﷺ بنور الدين بن زنكي

ويدع ربه الذي حفظه حياً وميتاً؟ فإننا ندرك أنّ حفظ الله لنبيه الكريم مطلقٌ في حياته، وبعد مماته، إلا أنه يمكن أن يكون من وسائل الحفظ تسخير الله عزّ وجلّ لأحد من عباده الصالحين لمعاقبة المعتدين على حرمته والتشهير فيهم ليكون ذلك عبرة للكفار وضعفاء النفوس.

٢ - أما نقل التراب، فليس بالعسير، ولن يعدم المجرمان طريقة هادئة لذلك.

٣ - أما نقل الجسد الطاهر، فإنّ تفكير الكاتب يختلف عن تفكير أبناء ذلك العصر، فلم يكن أولئك يحسبون الحسابات التي تدور في أذهاننا اليوم، ولم يكن السفر من بلد إلى بلد على الجمال يخضع للتفتيش والمراقبة الموجودتين في عصرنا، فضلاً عن أنّ منافذ السفر لاتقتصر على نقاط حدود أو مطارات أو موانئ محددة.

وخلص عبدالباسط بدر إلى قوله: «فمن حيث المبدأ يمكن لبعض أعداء الإسلام أن يفكروا بما ورد في الخبر، خاصة وأنّ عصر الرواية هو عصر ذروة المشاعر العدائية ضد المسلمين، وهي المشاعر التي نتجت عنها الحروب الصليبية. لذلك كله لانستبعد القصة نظرياً غير أننا نجد أسباباً أخرى تثير بعض الشكوك حولها هذه الأسباب هي سكوت المصادر التاريخيّة الكبيرة عن هذه الحادثة، كالبداية والنهاية، والكامل، وتاريخ ابن خلدون. وأول رواية للحدث نجدها عند جمال الدين أحمد بن محمد المطري . . . نخرج من ذلك كله إلى أنّ القصة محتملة الوقوع إذا تجردت من المبالغة الواردة في بعض الروايات، وبالذات قضيّة استغاثة رسول الله ﷺ بنور الدين» .(٣٠)

دراسة الرواية وتحليلها:

وبعدُ: فإنّ هذه هي الرواية بتفصيلاتها، وهؤلاء هم نقلتها ورواتها، بين مؤيد لها مسلم بحدوثها، وبين ناقد لها متردد في قبولها، ونحن يجب أن نقف من الحادثة موقف الدارس المحقق، لمناقشة تفصيلاتها ودراسة سندها ومتنها، ليكون النظر أوسع والحكم أدق، وأكثر موضوعيّة لما للحادثة من أهمية وحساسية، فقد تبين لنا باستعراض صور الحادثة أنها رويت بطريقين:

الأول: رواية جمال الدين المطري المتوفى سنة ٧٤١هـ (١٣٤٠م) في كتابه (التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة) مشيراً إلى أنه قد سمعها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك، وهو قد أورد القصة كاملة والسنة التي حدثت فيها، إلا أنه لم يشر إلى عمل الخندق وسبك الرصاص فيه، كما أنه لم يسم الوزير الذي اصطحبه نور الدين محمود معه، وقد نقل عنه ابن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٧٤هـ (١٤٧٠م) في كتابه (الكواكب الدريّة) بالنص تقريباً، ولم يشر - أيضاً - إلى رواية صب الرصاص.

الثاني: رواية السمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ (١٥٠٦م) في كتابه (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) فأورد القصة كاملة نقلاً عن رسالة كان قد صنفها العلامة جمال الدين الإسنوي المتوفى سنة ٧٧٢هـ (١٣٠٧م) في المنع من استعمال الولاة للنصارى سميت (بالانتصارات الإسلامية) وقد أشار إلى رواية حفر الخندق وصب الرصاص فيه، كما سمى وزير نور الدين محمود وصاحبه إلى المدينة بأنه جمال الدين الموصلي، مع أنّ جمال الدين لم يستوزر لنور الدين حسبما ورد إليه في ترجمته.

ثمّ ينقل السمهودي عن جمال الدين المطري روايته السابقة، وأنّ المجد- يعني مجد الدين الطبري في تأليف له عن تاريخ المدينة، وهو أحد مصادر السمهودي المهمّة، قد ساق هذه الرواية على الوجه الذي ذكره المطري، وكذلك الزين المراغي، يعني زين الدين أبابكر بن الحسين المراغي نزيل المدينة، والمتوفى بها سنة ٨١٦هـ

(١٤١٤م) صاحب كتاب (تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة)، وهو أيضاً من مصادر السمهودي المهمّة ذكر ماتقدّم عن المطري نقلاً عنه، وزاد أنّ وزير السلطان نور الدين الذي استحضره وذكر له القصة هو الموفق خالد بن محمد بن نصر القيسراني الشاعر، وهذه يمكن أن تشكل رواية ثالثة؛ لأن فيها مايميزها عن الروايتين السابقتين.

ولكي يكون استقراؤنا للرواية صحيحاً، والحكم عليها موضوعياً، فإنه يلزم استعراض بعض قضايا الرواية، والتوقف عندها بعض الوقفات التي يمكن أن تعين في تحقيق الحادثة، والحكم عليها وفق منهج علمي، ومن هذه الوقفات مايأتي:

الوقفة الأولى: أنّ جميع هذه الصور التي وردت فيها الرواية يشوبها اضطراب وضعف في سندها لكونها لم تظهر إلا في فترة متأخرة عن زمن الحادثة، فأول ظهور لها في المصادر هو عند المطري، وهو متوفى سنة ٧٤١هـ(١٣٤٠م) وتاريخ الحادثة هو سنة ٥٥٧هـ(١١٦٢م) أي أنّ الرواية ظهرت في المصادر بعد حدوثها بمائة وأربع وثمانين سنة هجرية أي قرابة قرنين من حصولها، وهذا أمرٌ فيه نظر، ويدعو للتساؤل والاستغراب!!

إذ إنّ مثار العجب الذي ورد عند السمهودي بعد سرده للرواية حينما قال: «والعجب أني لم أقف على هذه القصة في كلام من ترجم نور الدين الشهيد مع عظمها»[٣١] يرد هنا، ولكن بصيغة تساؤل يقول: أين مصادر العصر الذي عاش فيه نور الدين محمود - وهي أمهات المصادر - من هذه الحادثة؟ ولماذا لم تظهر القصة إلا في زمن متأخر جداً عن تأريخ حدوثها؟

أنه بالإطلاع على جميع ماوصل إلينا من المصادر المعاصرة للدولة الزنكية، والتي كتبت عن سيرة نور الدين محمود، وحياته، وجهاده ضد الصليبيين لحظة بلحظة كالحافظ ابن عساكر في مؤلفه الكبير: (تاريخ مدينة دمشق)، والعماد الأصفهاني في كتابه (البرق الشامي)، الذي قام باختصاره البنداري في كتاب اسماه

(سنا البرق الشامي)، وعز الدين ابن الأثير في مؤلفيه: (التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل) و (الكامل في التاريخ)، وابن العديم في مؤلفه: (زبدة الحلب من تاريخ حلب)، وأبي شامة المقدسي في: (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية)، وابن خلكان في (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، وابن واصل في: (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب)، وغيرها كثير من كتب التراجم والأخبار، إنه بالرجوع إلى هذه المؤلفات، ودراستها دراسة متأنية لم يقف الباحث على أي إشارة إلى هذه الحادثة لا من قريب ولا من بعيد، وكان أحرى بابن الأثير أو أبي شامة، وهما يسجلان سيرة نورالدين وحياته لحظة بلحظة، أن يشيرا إلى هذه القصة إذ تعد من أبرز مآثر نورالدين وأعماله - إن هي حدثت له فعلاً - وهو المجاهد العادل الزاهد الورع كما تصفه جميع المصادر، ولكن هذا لم يحدث، ولم يرد للقصة أي ذكر في مصادر العصر الذي عاش فيه نور الدين ولاحتى القريبة منه.

كما إنّ تلك المصادر جميعها لم تشر إلى أي زيارة قام بها نور الدين محمود إلى المدينة حول هذا التاريخ لاسيما أنه أمضى في الطريق ستة عشر يوماً حسب رواية السمهودي[٣٢].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإنه يرد هنا تساؤل آخر يقول: هل من المعقول أن يخرج السلطان بمثل هذه الحملة التي وصفت بأنها: «بمقدار ألف راحلة ومايتبعها من خيل وغير ذلك»[٣٣] وبعدة ورجال دون علم أهالي الشام الذين كانوا يتتبعون لحظات حياة نورالدين لحظة بلحظة، حتى إنهم كتبوا عن أوقات استراحته وأسلوبه في إشغال أوقات فراغه؟.

ثم إن الشيء الذي يسترعي الانتباه أيضاً هو: أنّ تلك المصادر التي أوردت الحادثة واهتمت بها لم تشر إلى أي مصادر مكتوبة تلقت عنها الرواية، ولم تنسبها إلى أي مصدر قريب من عصر نورالدين، وإنما هي من المرويات الشفهية المتناقلة على الألسن صيغها: «حدثني» أو «سمعت من»، فهل هي من عدم الأهمية لدرجة إهمالها من قبل المصادر المعاصرة لتتلقاها وتبثها المصادر البعيدة عن زمن حدوثها؟.

والواقع يقرر هنا أن انفراد المصادر المتأخرة بذكر هذه الرواية مع انعدامها عند المصادر السابقة لها، والمعاصرة أو القريبة من زمن حدوثها يجعلنا نتوقف في قبولها، ونشك في حصولها أصلاً إذ إنّ الروايات التاريخية لابدّ أن يتوافر لها من وضوح المصادر ودقتها وموضوعيتها مايطمئن إلى نقلها والأخذ بها.

الوقفة الثانية: إنه ممايلاحظ على العصر المتأخر الذي رويت فيه القصة - أواخر القرن الثامن الهجري وأوائل القرن التاسع - أنه عصر اشتهر بتأجج روح التصوف الذي أباح لأصحابه اختلاق صنوف الروايات ذات المسحة الإعجازية التي تأتي فوق مستوى التفكير وإدراك العقل البشري لتضفي على أصحابها درجة عالية من الكرامة والمحسوبية التي ترفعه في الغالب على مستوى البشر في زعمهم؛ يؤيد ذلك مانقله السمهودي عن اليافعي، وهو ممن يهتم كثيراً بهذا الفكر، في ترجمته لنورالدين من أن بعض العارفين من الشيوخ ذكر أنه كان في الأولياء معدوداً من الأربعين وصلاح الدين نائبه من الثلاثمائة.(٣٤)

ونحن - مع هذا - لانغفل مااشتهر به نورالدين محمود بن زنكي من زهد وورع وحرص على التزام الهدي النبوي الكريم، لدرجة جعلت ابن الأثير يمتدحه بقوله: «قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين، وعمربن عبدالعزيز، ملكاً أحسن سيرة من الملك العادل نورالدين، ولاأكثر تحرياً للعدل والإنصاف منه، قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره، وجهاد يتجهز له، ومظلمة يزيلها، وعبادة يقوم بها، وإحسان يوليه، وإنعام يسديه»(٣٥). كما أشار أبوشامة إلى زهده وعبادته وعلمه بقوله: «أما زهده وعبادته وعلمه فإنه كان مع سعة ملكه، وكثرة ذخائر بلاده وأموالها، لايأكل ولايلبس ولايتصرف فيما يخصه إلا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين. أحضر الفقهاء واستفتاهم في أخذ مايحل له من ذلك فأخذ ماأفتوه بحله، ولم يتعده إلى غيره ألبته. ولم يلبس قط ما حرمه

الشرع من حرير أو ذهب أو فضة. ومنع من شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده ومن إدخالها إلى بلد ما. وكان يحد شاربها الحد الشرعي، كل الناس عنده فيه سواء»[٣٦] ولعلّ راوي الحادثة لم يغفل عن ذلك فأراد أن يضفي إلى نورالدين مزيداً من هذه الصفات بنسبة مثل هذه القصة إليه.

الوقفة الثالثة: أننا ندرك مدى الحقد الدفين الذي يكنه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى، ومن تبعهم من أهل الأهواء والبدع والمضللين لهذا الدين، ومحاولاتهم المستمرة الطعن في الدين وأهله ومقدراته وهذه ليست الرواية الأولى ولا الأخيرة التي تشير المصادر إلى حدوثها محاولة لنبش قبر النبي ﷺ، ونقل جسده الطاهر خارج المدينة.[٣٧] لكنّ هذا لايحملنا أن نسلم بكل مايشار من روايات وأخبار إذ إنّ الأخبار التاريخية لابدّ أن تعتمد على الحقائق والأدلة والبراهين، وتستنير بالرؤية المنطقية الصادقة للأحداث، وليس على مجرد عبارات إنشائية تنسب إلى أفراد أياً كانت مكانتهم وأوصافهم.

الوقفة الرابعة: أنّ تلك الرواية تحمل في ثنايها ماينافضها، إذ تفصح عن عدم دقة في أخبارها، وتردد في سرد تفصيلاتها. وقراءة سريعة لمتنها توضح للقارئ أنّ فيه اضطراباً وتناقضاً، وتحديثاً من غير تثبت، وأشياء تدعو للدهشة والتساؤل. فقصة الرؤيا، واستنجاد النبي ﷺ بنورالدين محمود تثير شيئاً من الاستغراب والدهشة. وقضية الوزير الذي ذكرت الرواية أن السلطان نور الدين قص عليه الرؤيا وأنه قام بتأويل تلك الرؤيا فيها اضطراب وتناقض بين الروايات، ففي الوقت الذي تغفل ذكره رواية المطري، نجد السمهودي يسميه نقلاً عن جمال الدين الأسنوي، وتذكر الرواية أنه جمال الدين الموصلي وجمال الدين كان حينئذ وزيراً لقطب الدين مودود بن زنكي في الموصل، ولم يستوزر لنورالدين محمود إطلاقاً وفقاً لمصادر ترجمته. بينما تشير رواية الزين المراغي التي نقلها السمهودي أيضاً أنّ هذا الوزير هو موفق

الدين القيسراني والاضطراب والتناقض في ذلك بين المصادر يضعف الرواية ويوهنها.

ثمّ إنّ هناك تناقضاً بين الروايتين في طريقة خروج نورالدين من بلاده وعدته في ذلك، فبينما تشير الرواية الأولى رواية المطري إلى أنه خرج على عجل بمقدار ألف راحلة ومايتبعها من خيل وغير ذلك، نجد الرواية الأخرى، رواية السمهودي عن الإسنوي تشير إلى أنه تجهز في بقية ليلته، وخرج على رواحل خفيفة في عشرين نفراً، فالفرق بين الروايتين أمر ليس باليسير، ثم إنه كيف يدخل السلطان المدينة على حين غفلة من أهلها، والمصادر تشير إلى أنّ خروجه كان في موكب كبير يقدر بألف راحلة ومايتبعها من خيل وغير ذلك.

ثم إنّ تناقض الروايات في مصير مخلفات الحفر بين من يذكر أنهما يجعلانه في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه، وبين من يذكر أنهما يجعلانه في محافظ معهما وأنهما يخرجان لإظهار زيارة البقيع فيلقيانه بين القبور، وهذا أيضاً تناقض يضعف الرواية، ثم تناقضت الرويات في طريقة اكتشاف أمر الرجلين، ومصيرهما في النهاية، ففي الوقت الذي ذكرت الرواية الأولى، رواية المطري، أنّهما ضربت أعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة رسول الله ﷺ، وأنهما أحرقا بالنار آخر النهار، فإنّ رواية السمهودي لم تشر إلى أنهما أحرقا بالنار. وهذا التناقض والإضطراب بين الروايات يجعل القارئ يفقد الثقة في الرواية، ويصنفها ضمن الروايات المعلولة الضعيفة.

الوقفة الخامسة: حول قصة حفر الخندق وسبك الرصاص فيه. وهذه الرواية أيضاً رواية مضطربة، فبالإضافة إلى أنها لم ترد إلا في مصدر واحد، وهو السمهودي نقلاً عن الإسنوي، فإن، فيها مبالغة لايمكن أن تصدّق، وهي أنّ الحفر وصل إلى الماء، وأنه مليء بالرصاص، فصار حول الحجرة الشريفة سور رصاص إلى الماء، فكيف سيثبت هذا الرصاص وأساسه الماء، ثم أي قدر من الرصاص سيملأ هذا الخندق.

أما أنّ هناك سوراً من الرصاص حول القبر الشريف، وأنه ماثل لنظر كل من يزور القبر، ويدقق النظر إلى جدرانه الخارجية كما يذكر محمد السيد الوكيل، فلعلّ ذلك السور قد بني حول الحجرة الشريفة بعدما حدث لها من سقوط لبعض جدرانها مراراً، فأرادوا بذلك تمتين البناء وتقويته حتى لايتعرض للهدم، كما أشار إليه الوكيل.(٣٨)

وأخيراً، فإنه ووفقاً لكل ماورد من وقفات وملحوظات حول القصة، ورواتها، وسندها، ومتنها، وماورد في المؤلفات الحديثة عنها أجدني متوقفاً في قبول إمكانية حدوثها بهذه الصورة أصلاً لا لنور الدين ولالغيره لما فيها من المبالغة وعدم الدقة، وحتى لوسلمنا بأن الحادثة في حد ذاتها أمر ممكن الحدوث نظرياً، وأنه ليس بمستغرب في عصر تأجج فيه روح العداء الصليبي ضد المسلمين، إلا أنّ نسبتها لشخص نورالدين محمود هو الأمر الذي يستبعد هنا نهائياً للاعتبارات التي سبقت الإشارة إليها.

وإذا أمكن افتراض حصول مثل هذه الحادثة، أو قريب منها لأي من سلاطين المسلمين، فلعل نسبتها إلى نورالدين محمود جاءت تخميناً لما توافر فيه من صفات، ومثالية توافق بعض روايات القصة وتفصيلاتها من جهة، وتناسب جهود نورالدين في جهاده ضد الصليبيين في ذلك العصر من جهة ثانية، والله أعلم.

وختاماً، أسأل الله عزّ وجلّ التوفيق والسداد لكل مايحبه ويرضاه، وأن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يرزقنا الرخلاص في القول والعمل إنه نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اقتفى أثره وسار على هديه والتزم نهجه إلى يوم الدين .. والحمد لله رب العالمين...

الهوامش

١ - هو الملك العادل أبو القاسم نور الدين محمود بن الأتابك عماد الدين زَنكي بن قسيم الدولة آقسنقر التركي، ويعرف بالشهيد كانت ولادته في حلب في شوال سنة ٥١١هـ(١١١٨م) ونشأ فيها على الخير والصلاح! ثم آلت إليه بعد وفاة والده سنة ٥٤١هـ(١١٤٦م) فاستقل بها، ومنها انطلقت الدولة النوريّة إلى كل من دمشق في صفر سنة ٥٤٩هـ(١١٥٤م) منهياً حكم الأسرة البورية فيها، ثم إلى مصر سنة ٥٦٧هـ(١١٧١م) منهياً حكم الدولة الفاطمية العبيدية فيها، وامتدت سلطته إلى كل من بلاد الشام، والجزيرة والموصل وديار بكر والمغرب واليمن، وخطب له بالحرمين، وكانَ مشهوراً بالصلاح والعدل مداوماً للجهاد مباشراً له بنفسه، موفقاً في حروبه مع الصليبيين، معتنياً بإصلاح شؤون رعيته وبلاده، وكانت وفاته في دمشق في شوال سنة ٥٦٩هـ(١١٧٤م) ودفن بها (ابن عساكر: الحافظ ثقة الدين أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المتوفى سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٦م، تاريخ دمشق صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، كمل نقصها من النسخ في كل من القاهرة ومراكش، واستانبول، نشر. مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٤٠٧هـج١٦، ص - ص٢٩٣-٢٩٦؛ ابن الأثير: عزالدين علي علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات، ط١، القاهرة: دار الكتب الحديثة، بغداد: مكتبة المثنى، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م. ص٤، ص٨٥، ص٨٩، ١٦١؛ ابن العديم: كمال الدين أبوالقاسم عمر بن أحمد بن هبة الله المتوفى سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م، زبدة الحلب من تاريخ حلب. تحقيق: سامي الدهان، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات الإسلامية، ١٩٥٤م، ج٢ ص - ص٢٨٩-٣٤١؛ أبوشامة: شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي المتوفى سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م. كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، نشر وتحقيق: محمد حلمي أحمد. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦م، ج١، ق١، ص -ص٩ -٥٨؛ ابن خلكان: أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر المتوفى سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٢م، ج٥ ص ص١٨٤-١٨٨.

٢ - هكذا وردت في جميع نصوص كتاب المطري، والأولى أن تكتب (ﷺ) لتكتمل عبارة الصلاة والسلام على نبينا محمد كتابة لما هو أهل له من القدر.

٣ - هكذا وردت في النص، والصحيح لغوياً فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان.

٤ - هكذا وردت في النص والصحيح حفرا.
٥ - المطري: جمال الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد المطري المدني (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م) التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، المدينة المنورة، المكتبة العلمية (١٤٠٢هـ) ص ص٧٣ - ٧٤.
٦ - ابن قاضي شهبة: بدرالدين محمد بن أحمد الأسدي الدمشقي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م) الكواكب الدريّة في السيرة النوريّة، تحقيق: محمود زايد، ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد (١٩٧١م) ص ص٧٢ - ٧٣.
٧ - السمهودي: نور الدين أبوالحسن علي بن عبدالله بن أحمد الحسني الشافعي (ت٩١١هـ/١٥٠٦م) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ(١٩٨١م) ج٢، ص ص٦٤٨ - ٦٥٠.
٨ - هو عبدالرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبومحمد، جمال الدين: فقيه أصولي من علماء العربية. ولد في إسنا من مدن الصعيد الأعلى المصري سنة ٧٠٤هـ(١٣٠٥م)، وقدم القاهرة سنة ٧٢١هـ(١٣٢١م) فانتهت إليه رياسة المذهب الشافعي، وولي الحسبة، ووكالة بيت المال، ودرّس في عدد من مدارس القاهرة حتى وفاته سنة ٧٧٣هـ(١٣٧٠م) وله عدد من الآثار والمؤلفات أشهرها كتاب طبقات الشافعية، ونهاية السول، وهما مطبوعان إضافة إلى أكثر من ثلاثين كتاباً مخطوطاً (السيوطي: الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد المتوفى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. ج٢، ص ص٩٢ - ٩٣؛ ابن العماد الحنبلي: أبوالفلاح عبدالحي الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ط١. بيروت، دار الفكر ١٣٩٩هـ، ج٦، ص ص٢٢٣ - ٢٢٤).
٩ - هكذا وردت في النص، والصحيح (ظنوا).
١٠ - هو أبوجعفر، محمد بن علي بن أبي منصور، الملقب بجمال الدين، والمعروف بالجواد الأصفهاني، وزير الأتابك عماد الدين زنكي في الموصل والشام، ووزير ابنيه: سيف الدين غازي، وقطب الدين مودود، وكان هو المتصرف في أمور الدولة الزنكية بالموصل وإليه المرجع في كثير من الأمور، كما أنّ له مشاركة في إنشاء عديد من المرافق الخيريّة في الموصل وغيرها، وكانت وفاته في شعبان سنة ٥٥٩هـ(١١٩٤م)(ابن الجوزي: جمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن ابن علي البغدادي، ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م، المنتظم في تاريخ

الملوك والأمم، ط١، حيدر آباد، الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، ج١٠ ص٢٠٩، ويسميه: محمد بن علي بن منصور، وذكر أنه دفن في رباط له بناه في مدينة الرسول ﷺ، بينما يذكر ابن خلكان أنه مات محبوساً في سجن قطب الدين مودود بالموصل وأنه دفن فيها إلى بعض سنة ستين وخمسمائة، ثم نقل إلى مكة وطيف به، ثم حمل إلى مدينة الرسول ﷺ ودفن بها بالبقيع (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥ ص - ص١٤٣ - ١٤٥) ولم تشر مصادر ترجمته إلى أنه قد استوزر لنور الدين محمود إطلاقاً.

١١ - السمهودي، وفاء ج٢، ص -ص٦٤٨ - ٦٥٠؛ كما وردت هذه الرواية عند السمهودي أيضاً في كتابه (خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ. المدينة المنورة: المكتبة العلمية، وطبع في دمشق. ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. ص - ص ٣١٣ - ٣١٥) بهذه الصورة تقريباً، كما أوردها السمهودي أيضاً في كتاب له أسماه. الوفا بما يجب لحضرة المصطفى. نشر ضمن كتاب (رسائل في تاريخ المدينة، ص-ص٩٣ - ١٧٩). بإشراف وتقديم حمد الجاسر. الرياض. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر. ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) ص-ص ١٢٧ - ١٣١.

١٢ - يعني مجد الدين الطبري في تأليف له عن تاريخ المدينة، وهو أحد مصادر السمهودي المهمّة التي يكثر النقل منها، ولم أقف على هذا التأليف كما أنني لم أجد في المصادر أي ترجمة لصاحبه.

١٣ - يعني زين الدين أبابكر بن الحسين المراغي المصري الشافعي نزيل المدينة، والمتوفى بها سنة ٨١٦هـ (١٤١٤م) صاحب كتاب: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة (ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص١٢٠؛ عمر رضا كحالة معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية. بيروت. دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج٣ ص٦٠) وهو أيضاً من مصادر السمهودي المهمّة التي يكثر النقل منها.

١٤ - هو: موفق الدين، أبوالبقاء خالد بن محمد بن نصر بن صقر القرشي المخزومي وزير من أعيان الكتاب. أصله من قيسارية الشام، وإليها ينسب، كان مولده في حلب، وقد استوزره نور الدين محمود في دمشق، ذكر العماد الأصفهاني في (الخريدة) أنه لما وصل الشام وجد القيسراني «في صدر مناصبها وبدر مراتبها . . . وكان نورالدين قد رفعه واصطنعه وبلغ منه مبلغاً من الأمر كأنه أشركه في الملك معه. ولقد كان حقيقاً بذلك» (العماد الأصفهاني: أبوعبدالله محمد بن محمد بن حامد بن آله ت - ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، ج١، تحقيق: شكري فيصل دمشق، المجمع العلمي العربي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ص -١٢٥) وقد توفي ابن القيسراني في

دمشق سنة ٥٨٨هـ (١١٩٢م) (ابن كثير : أبوالفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، ت - ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م: البداية والنهاية ط٢، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٧م، ١٤/ ٣١).

١٥ - السمهودي: وفاء الوفا، ص -ص ٦٥٠-٦٥١.

١٦ - العباسي: أحمد بن عبدالحميد (توفي في القرن العاشر الهجري) عمدة الأخبار في مدينة المختار، نشر: أسعد درابزوني الحسيني، المدينة المنورة (د.ت) ص -ص ١٢٩ - ١٣٠ .

١٧ - البرزنجي: جعفر بن إسماعيل بن زين العابدين المدني (ت ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م) نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين؛ بيروت، دار صعب، ص -ص ٨٣ - ٨٤ .

١٨ - محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية ط٢، القاهرية، المطبعة الجمالية (١٣٢٩هـ) ص ٢٤٧.

١٩ - أحمد ياسين أحمد الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً (ت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، تعليق وإيضاح: عبيد الله كردي، ط٣، جدة، دار العلم، ١٤١٢هـ (١٩٩١م) ص٨٣.

٢٠ - علي حافظ: فصول من تاريخ المدينة المنورة، جدة، شركة المدينة للطباعة والنشر ص -ص ٢٤ - ٢٦.

٢١ - غالي محمد الأمين الشنقيطي: الدّر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ، ط٣، جدة. دار القبلة للثقافة والنشر، بيروت. مؤسسة علوم القرآن، ١٤١١هـ (١٩٩١م) ص -ص ٧٦ - ٧٩.

٢٢ - صفوان داوودي: الحجرات الشريفة سيرة وتاريخاً، ط١، المدينة المنورة، مطابع الرشيد (١٤١٢هـ) ص -ص ١٠١ - ١٠٣.

٢٣ - محمد إلياس عبدالغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ (١٩٩٦م) ص -ص ١٧٦ - ١٧٩ .

٢٤ - إبراهيم بن علي العياشي: المدينة بين الماضي والحاضر، المدينة المنورة، المكتبة العلمية. ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) ص -ص ١٦١ - ١٦٤ .

٢٥ - وفاء الوفا، ص ٦٥٢.

٢٦ - المدينة بين الماضي والحاضر، ص١٦٣.

٢٧ - محمد السيد الوكيل: المسجد النبوي عبر التاريخ، ضمن موسوعة المدينة المنورة التاريخية (٤) ط١، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م) ص ١٣٩ .

٢٨ - المرجع نفسه، ص١٣٩.

٢٩ - عبدالباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة. ط١. المدينة المنورة. ١٤١٤هـ (١٩٩٣م).

٣٠ - المرجع نفسه، ج٢ ص - ص١٧٦ - ١٨١.
٣١ - وفاء الوفا، ص٦٥٢.
٣٢ - وفاء الوفا، ص ٦٤٨.
٣٣ - المطر: التعريف، ص٧٣.
٣٤ - السمهودي: وفاء الوفا، ص ٦٥٢.
٣٥ - ابن الأثير: التريخ الباهر. ص١٦٣.
٣٦ - أبوشامة، كتاب الروضتين، ج١، ص١١.
٣٧ - ذكرت المصادر التاريخية روايات أربع جمعها محمد الياس عبدالغني في كتابه (تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص -ص١٧٤ - ١٨٥)، وهي كما يأتي:
المحاولتان الأولى والثانية: كانتا في بداية القرن الخامس الهجري بإشارة من الحاكم العبيدي الملقب بالحاكم بأمر الله، وباءتا بالفشل وحفظ الله نبيه الكريم، وقد أشار إليهما السمهودي في كتابه (وفاء الوفا، ٢/ ٦٥٢ - ٦٥٣)
المحاولة الثالثة: هي تلك المحاولة التي يتناولها هذا البحث.
المحاولة الرابعة: ذكر ابن جبير تفصيل هذه المحاولة حيث وصل مدينة الإسكندرية في بداية رحلته في التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة (٥٧٨هـ)، وشاهد مجموعة من أسرى الروم أدخلوا البلد راكبين على الجمال ووجوههم إلى أذنابها، وحولهم الطبول والأبواق للتشهير بهم، فلما سأل عن جرمهم أخبر بأنهم جملة من نصارى الشام أخذوا وهم في طريقهم لنبش القبر الشريف ونقله. (ابن جبير، أبوالحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي. ت -٦١٤هـ/ ١٢١٧م. رحلة ابن جبير. بيروت: دار صادر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ص ٣٤ - ٣٥).
٣٨ - المسجد النبوي عبر التاريخ، ص١٣٩.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل. تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات. ط١. القاهرة: دار الكتب الحديثة وبغداد: مكتبة المثنى، ١٣٨٢هـ (١٩٦٣م).

البرزنجي، جعفر بن إسماعيل بن زين العابدين المدني (ت١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م).
نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين. بيروت: دار صعب (د. ت).
ابن جبير، أبوالحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت-٦١٤هـ/ ١٢١٧م).
رحلة ابن جبير بيروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ(١٩٨٠م).
ابن الجوزي، جمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن علي البغدادي (ت-٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. ط١. حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ(١٩٤٠م).
ابن خلكان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت-٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق: إحسان عباس. بيروت. دار صادر، (١٩٧٢م).
السمهودي، نور الدين أبوالحسن علي بن عبدالله بن أحمد الحسني الشافعي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٦م).
١ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد. ط٣. بيروت. دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ(١٩٨١م).
٢- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ. المدينة المنورة: المكتبة العلميّة. وطبع في دمشق. ١٣٩٢هـ(١٩٧٢م).
٣ - الوفا بما يجب لحضرة المصطفى. نشر ضمن كتاب (رسائل في تاريخ المدينة. ص -ص٩٣ - ١٧٩) بإشراف وتقديم حمد الجاسر. الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٢هـ(١٩٧٢م).
السيوطي، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم. ط١. القاهرة - ١٣٨٤هـ(١٩٦٤م).

أبوشامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. نشر وتحقيق: محمد حلمي أحمد. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٦م).

العباسي، أحمد بن عبدالحميد (توفي في القرن العاشر الهجري). عمدة الأخبار في مدينة المختار. نشر: أسعد درابزوني الحسيني. المدينة المنورة (د.ت).

ابن العديم، كمال الدين أبوالقاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م). زبدة الحلب من تاريخ حلب. تحقيق: سامي الدهان. دمشق. المعهد الفرنسي للدراسات الإسلامية. (١٩٥٤م).

ابن عساكر، الحافظ ثقة الدين أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٦م). تاريخ دمشق صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق. كمّل نقصها من النسخ في كل من القاهرة ومراكش، واستانبول، نشر. مكتبة الدار بالمدينة المنورة. (١٤٠٧هـ).

العماد الأصفهاني، أبوعبدالله محمد بن محمد بن حامد بن أله (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م). خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، ج١، تحقيق: شكري فيصل، دمشق، المجمع العلمي العربي. ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م).

ابن العماد الحنبلي، أبوالفلاح عبدالحي الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ط١ بيروت، دار الفكر. (١٣٩٩هـ).

ابن قاضي شهبة: بدر الدين محمد بن أحمد الأسدي الدمشقي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) الكواكب الدريّة في السيرة النوريّة، تحقيق: محمود زايد، ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد (١٩٧١م).

ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. (ت-٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). البداية والنهاية. ط٢. بيروت. مكتبة المعارف، (١٩٧٧م).

المطري، جمال الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد المطري المدني. (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م). التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة. المدينة المنورة. المكتبة العلمية. (١٤٠٢هـ).

ثانياً: المراجع

إبراهيم بن علي العياشي، المدينة بين الماضي والحاضر. المدينة المنورة: المكتبة العلمية. ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م).

أحمد ياسين أحمد الخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً (ت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م). تعليق وإيضاح: عبيدالله كردي. ط٣. جدة: دار العلم. ١٤١٢هـ (١٩٩١م).

صفوان داوودي، الحجرات الشريفة سيرة وتاريخاً. ط١. المدينة المنورة: مطابع الرشيد، (١٤١٢هـ).

عبدالباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ط١، المدينة المنورة، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م).

علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة. جدة: (د. ن) شركة المدينة للطباعة والنشر (د. ت).

عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية. بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).

غالي محمد الأمين الشنقيطي، الدّر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ. ط٣. جدة. دار القبلة للثقافة والنشر، بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤١١هـ (١٩٩١م).

محمد إلياس عبدالغني، تاريخ المسجد النبوي الشريف. ط١. المدينة المنورة: (د. ن) ١٤١٦هـ (١٩٩٦م).

محمد السيد الوكيل، المسجد النبوي عبر التاريخ، ضمن موسوعة المدينة المنورة التاريخية (٤). ط١. جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع. ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م).

محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية. ط٢. القاهرة: المطبعة الجمالية. (١٣٢٩هـ).